وهكذا صوّر الحجاج خصما للنفاق السياسى ، صائلا فى حكمه ، قد ألزم النساء لعهده خطة الحفاظ على الأسرة والشرف فى البيت ، فكان واضحاً فى منهاجه يمنع الرشوة ، ويحول دون السرقة واللصوصية . فمن من الحكام لا يطمح اليوم إلى مثل هذه الرتبة وإلى مثل هذا المديح ؟ !

٢

وظل الشعراء العباسيون على هذا الغرار يمتدحون الحاكم لسياسته ، فكان مسلم ابن الوليد يثنى على القواد والأمراء لحنكتهم فى تسيير الأمور بحنكة ودهاء ، وعملهم فى بسط الأمن ، وجباية المال ؛ فقال فى منصور بن يزيد وآله :

كانوا الملوك بنى الملوك وراثةً ... والملك فيهم لا يزال يدورُ
أعطاهم ذلّ القادة قيصرٌ ... وجبى إليهم خرجه سابورُ

وأبو العتاهية مثله فى ذلك يرى فى ممدوحه جدارة بالحكم ، ويراه وحده أهلا للخلافة فيقول فى المهدىّ :

فلم تك تصلح إلاَّ له ... ولم يك يصلُحُ إلَّا لها
ولو رامها أحدٌ غيره ... لزلزلت الأرض زلزالها

والشعراء بعده كانوا يرون فى الأمراء والخلفاء أحق الناس بالحكم والإمارة لما يبذلون من عدل وما ينفقون من شجاعة وذكاء فى تسيير دفة الأعمال ، كما فعل أبو تمام والبحترى وغيرهما . والمتنبى امتدح حاكم حلب ثم رحل عنه إلى خصمه حاكم مصر فوجد لكل منهما دليلا على جدارته فى الحكم ووضعه من السلطان . وقد قال البحترى فى إسحق بن إبراهيم :

الله أيدكم وأعلى ذكركم ... بالنصر يقرأ فى السماء ويكتبُ